الباب الثامن

حماس وإسرائيل

لماذا تستهدف حماس ؟

تعد حماس كيانا معقدا تتوافر فيه ثلاثة اعتبارات، فهي حركة فلسطينية وهي حركة مقاومة ثم إن لها صلات تاريخية مع الإخوان ،وهذه الاعتبارات تنطبق على حركة الجهاد الإسلامي الفلسطيني التي تختلف مع حماس في الاجتهاد السياسي، إلا أن ما يلتقيان فيه أكثر مما يختلفان عليه ، فالذين يكرهون الفلسطينيين ينفرون من حماس والرافضون للمقاومة يعادونها، والمخاصمون للإخوان يسحبون خصومتهم عليها لكن الشرعية الحقيقية لحماس مستمدة من كونها حركة مقاومة وطنية، صحيح أنها لم تحرر فلسطين ولا تمانع في تهدئة الأوضاع مع إسرائيل لموازنات وحسابات سياسية مؤقتة، إلا أن ما ينبغي أن يحسب لها أنها ما زالت حريصة على أن تظل في خندق المقاومة، وترفض الاستسلام وتصر على الصمود في مواجهة العدو الإسرائيلي، كما أنها لم تتورط في عار التنسيق الأمني مع إسرائيل.

قال إسحاق رابين رئيس الوزراء الأسبق يوماً أنه يتمنى أن تختفي غزة من الوجود،وأن يستيقظ ذات صباح فلا يرى لها أثرا على الخريطة، وهو لم تكن لديه مشكلة مع جغرافية القطاع، ولكنه كان مستفزا من صمود وبسالة المقاومة فيه، التي حولت غزة إلى شوكة في جنب إسرائيل وعقبة تفضح دعاة الاستسلام والانبطاح أمامها.

ملاحقة واعتقالات جماعية وابعاد

لم يمض عام واحد على بداية الانتفاضة حتى كانت الضربة الأولى للحركة نهاية عام 1988 ممثلة في حملة اعتقالات طالت 150 من قادة الحركة من بينهم عبد العزيز الرنتيسي وإبراهيم اليازوري وصلاح شحادة إثر عمليتي اختطاف جنديين صهيونيين في شهري فبراير ومايو 1989، جاءت الضربة الأوسع مقارنة بالأولى حيث اعتقِل 260 من قيادات الحركة وقادتها وعلى رأسهم الشيخ أحمد ياسين.

وقد كان لهذه الضربة تأثيرها الكبير على وضع الحركة، مما اضطر رئيس مكتبها السياسي في الخارج آنذاك موسى أبو مرزوق الدخول إلى غزة لإعادة بناء جسم الحركة السياسي،وكذلك جناحها العسكري.

وتواصلت العمليات العسكرية للحركة على نحو أذهل الاحتلال، وهو ما أدى إلى ضربة أشد من الضربتين السابقتين وكانت نهاية عام 1990، وهذه المرة اعتقل حوالي ألف وسبعمائة عضو من الحركة، ثم بعد شهر أبعد ثلاثة من قياداتها إلى الخارج وفي انتفاضة الأقصى برزت حماس بوصفها الفصيل الأقوى فى الأعمال العسكرية التي وسمت هذه المرحلة، ولا تزال حتى الآن تسجل أشدّ العمليات العسكرية وأكثرها قوة قياساً بالفصائل الأخرى.

ومن بين التحديات الكبرى التي واجهتها حركة حماس حملات الاعتقالات الجماعية لنشطائها بعد كل عملية عسكرية تشنها المقاومة الفلسطينية وتتبناها كتائب القسام، وكان من أشهرها عملية الاعتقال والإبعاد الجماعية إلى جنوب لبنان والتي طالت 415 قيادياً وعالماً من الحركة، بعد عملية الاختطاف التي نفذتها كتائب القسام للجندي الصهيوني نسيم طوليدانو وبعد سيطرة السلطة الفلسطينية على عدد من مدن الضفة الغربية، وتنفيذ الحركة العديد من عمليات الاستشهاد، بدأت الحركة مرحلة معاناة جديدة حيث تم اعتقال عدد من قادتها البارزين، ومن بينهم الشيخ حسن يوسف من رام الله، والشيخ محمد جمال النتشة من الخليل والشيخين جمال منصور وجمال سليم من نابلس وغيرهم كما تم اعتقال عدد من قادتها العسكريين وملاحقتهم من أمثال الشهداء عبد الله القواسمي وعادل وعماد عوض الله وغيرهم ممن استشهد أو سُلم لسلطات الاحتلال وصبرت حركة حماس وقياداتها أمام هذه التحديات، وتحملت قساوة الشقيق، وضربات العدو والصديق، مما زاد في مكانتها في الشارع الفلسطيني، وخفض مكانة الآخرين، خاصة بعد فشل الحلول السلمية التي نادت بها السلطة وبعد كل ضربة من الضربات التي كانت تتعرض لها حركة حماس كانت تخرج أقوى من ذى قبل، وسرعان ما تعيد ترتيب صفوفها، كما ظلت العمليات العسكرية متواصلة رغم عشرات عمليات الاغتيال ومئات عمليات الاعتقال التي نفذتها

السلطة الفلسطينية وسلطات الاحتلال على حد سواء ضد الحركة وجناحها العسكري.

فرغم اغتيال الشهيد عماد عقل، واعتقال مؤسسي كتائب القسام وبينهم الأسير صالح العاروري وغيرهم، جددت كتائب القسام حيويتها وأنجبت عشرات القساميين الذين نفذوا عملياتهم في مناطق متفرقة في الضفة الغربية وقطاع غزة، فقد واصل الشهداء محيي الدين الشريف ويحيى عياش وحسن سلامة،وعبد الله القواسمي، وأبو الطيب، وغيرهم ممن سجلوا الأساطير في سجل القسام.

وكانت انتفاضة الأقصى من أبرز التحديات أمام حركة حماس، فقد شنت قوات الاحتلال حملة اعتقالات واغتيالات واسعة طالت الآلاف من عناصر الحركة على المستوى العسكري والسياسي والدعوي.

وكان من أبرز الشهداء أولئك الذين كانوا يعتقلون في سجون السلطة الفلسطينية أمثال جمال سليم وجمال منصور،وعبد الله القواسمي، وكان من الأسرى الذين اعتقلتهم السلطة جمال أبو الهيجا ومحمد جمال النتشة ومئات غيرهم.

الاغتيالات الإسرائيلية لقادة حركة حماس وأثرها:

استخدم الجيش الإسرائيلي العديد من الوسائل للقضاء على انتفاضة الأقصى وفصائل المقاومة خاصة حركة حماس، فطالت هذه الوسائل

اغتيال القادة العسكريين والسياسيين لفصائل العمل الوطني فكان منهم الرئيس ياسر عرفات والشيخ أحمد ياسين وغيرهم الكثيرفسياسة الاغتيالات التي نفذتها إسرائيل مع قيادات وكوادر المقاومة شكلت محوراً مهماً في سياسة إسرائيل ، وان كانت في انتفاضة الأقصى قد استخدمت بطريقة عادية جداً ترافقت مع علنية مباشرة بقائمة المستهدفين من القادة الفلسطينيين ، مع العلم إن هذه الاغتيالات لم تكن وليدة الانتفاضة فهي محاولة لتحقيق أهداف سياسية وعسكرية نابعة من قدراتهم ،التي تقر أن اليهود شعب الله المختار، فجرائم اليهود لا حصر لها ومنها على سبيل المثال -:قتل الكونت فولك برنادوت- وسيط دولي للام المتحدة - علي يد عصابات الهجانا عام1948 م ، الضابط المصري مصطفى حافظ ، مسؤول تدريب الفدائيين المصريين 1956م،اغتيال العلماء الألمان الذين يعملون في البرنامج النووي المصري 1965م، غسان كنفاني 1972م ، خليل الوزير 1988م، فتحي الشقاقي 1995م، محاولة اغتيال خالد مشعل في الأردن 1997م، الدكتور عبد العزيز الرنتيسي 2003م، وإسماعيل أبو شنب 2003م ، والشيخ أحمد ياسين مؤسس حركة حماس 2003م، محاولة اغتيال محمود الزهار فان سياسة الاغتيالات التي نفذتها إسرائيل بشكل عام تحاول استهداف وتصفية قادة المقاومة في غزة والضفة الغربية ، وتهدف إلي تحقيق هدف محوري وهو إنهاء قوة المقاومة الفلسطينية

وجعل الساحة مستباحة أمام الهيمنة الصهيونية دون ممانعة من أي طرف كان.

مدى نجاح الاغتيالات في نظر إسرائيل-:

-عامل المصداقية لقوة الردع الإسرائيلي ،بعد أن تأكدت هذه المصداقية بفشل عمليات المقاومة ومنها عملية ميناء أسدود 14مارس 2002 م لتؤكد أهمية الضربات الاستباقيه والانتقامية، في الإستراتيجية الإسرائيلية ، فلم تنجح إسرائيل بهذه الإستراتيجية لان العمليات مازالت قائمة ، وكان أبرزها عملية الوهم المتبدد واسر الجندي جلعاد شليط في مايو 2005م والتحفظ عليه والاحتفاظ به.

- قررت إسرائيل ضربة ضد ما تسمية البنية التحتية للأيديولوجية التي تمثلها الحركة ، لان هذه الشخصيات تمثل مرجع أيديولوجي لعناصر حماس والذي يفتح بدوره صراع داخل القيادة ويحدث نزاعاً سياسياً وفوضى تجعلها غير قادرة علي السيطرة

- تصور الإسرائيليون أن اغتيال الشيخ احمد ياسين سيضعف من وضع السلطة الفلسطينية أمام حركة حماس مما يؤد ي إلى زيادة في التناقض بينها وبين حركات المقاومة الإسلامية ، مما يؤكد مقولة شارون بأن لا وجود لشريك فلسطيني للتفاوض معه ،إضافة إلي ذلك فإن عملية الاغتيال تهدف إلي تحذير كل القادة الفلسطينيين بأنهم سيلقون مصيراً

مماثلاً إن لم يكفوا عن المقاومة ، كما تهدف إلي إذلال الشعب الفلسطيني وكسر شوكة المقاومة بإظهار .مدى قوة العسكرية الإسرائيلية

ـ قلب الطاولة علي الجميع في الداخل والخارج ، خاصة الجهات التي تحاول إحياء عملية السلام، بما يشكل ضربة لجهود هذه الجهات مصر،الأردن،الاتحاد الأوروبي،الولايات المتحدة وبريطانيا ، وفرض معطيات جديدة علي الجميع بما في ذلك إنذار قادة السلطة الفلسطينية وقادة حزب الله 0

التقييم الإسرائيلي

يركّز على أسباب القوة والثوابت والتأثير الشعبي في الوقت الذي تحيي فيه حركة حماس ذكراها العشرين، تراقب الأوساط الإسرائيلية عن كثب مجمل التطورات التي أحاطت بهذه الحركة الفتية، لاسيما أنها تأتي متزامنة مع سيطرة الحركة على قطاع غزة وما رافق هذه السيطرة من تصريحات ساخنة في المؤسستين السياسية والعسكرية في تل أبيب تعلن بوضوح لا يقبل التأويل أن حماس تشكل بالفعل تهديداً استراتيجياً لدولة الاحتلال وبالإمكان الحديث عن أبرز التقييمات الإسرائيلية لعشرين عاماً من حركة حماس من خلال النظر إلى المحاور السياسية والعسكرية والإستراتيجية التالية:

قوة حماس: تراقب أوساط الجيش وقادة الألوية والفرق التي تتوغل

بصورة جزئية وموضعية في أنحاء مختلفة من الضفة الغربية وقطاع غزة المستويات المتقدمة في الجوانب العسكرية لمقاتلي حماس من عناصر الجناح العسكري كتائب القسام، ويبدو ذلك متمثلاً من خلال الشهادات التي يقدمونها لجنرالات الجيش في هيئة الأركان العامة عبر الظواهر التالية:

- حجم التسليح النوعي والكمي الذي بين يدي مقاتلي حماس، بحيث أصبحت الترسانة العسكرية لدى كتائب القسام تشكل تهديداً حقيقياً للكيان الإسرائيلي،وقد جاء ذلك تدريجياً وعلى نسق يبدو أقرب ما يكون إلى خطة محكمة تعمل على استخدام ما لديها من أسلحة وعتاد وتجهيزات لوجستية غاية في التطور، الأمر الذي أوقع ترسانة الجيش الإسرائيلي في حالة شلل لا تتوقف فبعد أن نجحت حماس في استهداف دبابة ميركافا قبل سنوات، جاءت بعض الأحاديث التي ترددت في أوساط الغزيين قائلة إن كتائب القسام تمكنت مؤخراً من استهداف سلاح الجو الإسرائيلي ببعض الأسلحة التي استولت عليها من المقار الخاصة بالأجهزة الأمنية في غزة إثر سيطرتها على القطاع.

-القدرة الفائقة والتدريب عالي المستوى الذي يبديه المقاتلون القساميون أمام الجيش الذي لا يقهر، مما دفع أبرز المحللين العسكريين والجنرالات لأن يصرّحوا أنهم لا يقاتلون أفراداً عاديين، أو مجموعة عصابات مسلحة، كما كان جيشاً نظامياً مؤهلاً مدرباً معداً إعداداً

عسكرياً يقترب إلى حد كبير من الجيوش النظامية وأياً كانت المقاصد الإسرائيلية من هذه التوصيفات، صادقة كانت أم مبالغاً فيها، إلا أن ذلك يشعل الأضواء الحمراء،لا شك داخل هيئة الأركان التي باتت تحار بالفعل في إيجاد الطرق الكفيلة لوقف تقدّم جيش حماس.

- انتقال حماس وجهازها العسكري مؤخراً من مرحلة الدفاع إلى الهجوم ،لاسيما خلال الشهور الأخيرة، وتحديداً بعد أن أغلقت الطرق أمام تنفيذ العمليات الاستشهادية في العمق الإسرائيلي فقد أخذت المقاومة أبعاداً متقدمة في استخدام أساليب جديدة ومتطورة في استهداف جنود الاحتلال والمستوطنين، ومن أبرز أشكال هذا التطور إطلاق النار على الدوريات العسكرية والمستوطنين، واقتحام المواقع العسكرية والقوات الراجلة، لاسيما الوحدات الخاصة، رغم أنه أسلوب قتالي يحتاج إلى عناء وتخطيط، ودقة لضمان نجاح التنفيذ وتتنوع هذه العمليات، لتأخذ شكل إطلاق النار على قوة أي هدف إسرائيلي يتاح لمقاتلي حماس وجاء التعبير الإسرائيلي عن قراءه فوز حماس واستلام مقاليد الحكومة العاشرة في ضوء الحرب المعلنة التي شنتها تل أبيب على الحكومة التي شكلتها حماس، واتخذت لهذه الحرب مجالات وسبلاً شتى، على مختلف الأصعدة وهي:

الصعيد السياسي

- اعتبرت فوز حماس مشابهاً لفوز النازيين في ألمانيا، وأن فوزها

بمثابة هزة أرضية وكارثة جديدة، الأمر الذي دعا عدداً من السياسيين لمعاملة قادة حماس كقادة النازية وشبهوا ميثاق حماس بكتاب كفاحي لهتلر.

-الإعلان أن المشروع الدولي الذي اتفقت إسرائيل والعالم بشأنه للقيام بدور وظيفي يحمي مصالحها أصبح رهينة بيد أكبر عدو لإسرائيل في المنطقة،الأمر الذي يعطيها بل ويحرّض العالم على تبنّي موقفها بمحاصرة الحكومة سياسياً ومقاطعتها وفرض القيود والشروط عليها0

- جاء هذا الموقف السياسي الإسرائيلي من خلال ربط مسيرة المقاومة الفلسطينية ببعض التيارات الإسلامية التي تناصبها إسرائيل والعالم الغربي العداء ، خاصة تنظيم القاعدة .

الصعيد العسكري

- التصعيد الميداني غير المسبوق من خلال الاغتيالات والاعتقالات والاجتياحات، حيث سقط المئات من الشهداء وأصيب واعتقل الآلاف، وهي السياسة المسماة إبقاء الأرض مشتعلة تحت أقدام الحكومة.

- بادرت إسرائيل بشن حملات اعتقال العشرات من نواب ووزراء الحركة، بل والتهديد بتصفية رئيس الحكومة وعدد من وزرائها لاتهامهم بتلطخ أيديهم بالدماء الإسرائيلية.!

- من خلال أجهزتها الأمنية واصلت إسرائيل برنامج الانفلات الأمني المنظم، بافتعال حوادث قتل واختطاف وسطو، هادفة من ذلك إلى إشغال

حكومة حماس بالملفات الطارئة بين الحين والآخر بدلاً من التفرغ لتطبيق برنامجها الانتخابي التغيير والإصلاح، وبقي هذا الموقف إلى ما قبل إقدام حماس على خطوتها التي عرفت باسم الحسم العسكري.

الصعيد الاقتصادي

- أولت الحكومة الإسرائيلية اهتماماً بالغاً بالحصار الاقتصادي والمالي الذي فرضته على حكومة حماس، من خلال تعطيل اتفاقية العائدات الجمركية،في ظل وجود ما يزيد عن 125 ألف موظف في صفوف السلطة الفلسطينية يحتاجون آخر كل شهر ما قيمته 150 مليون دولار كرواتب شهرية.

- بثّت إسرائيل دعاية إعلامية موجهة إلى الرأي العام الدولي والمؤسسات المالية المانحة،مفادها أن الأموال التي تأتي لسلطة حماس لن تذهب لرواتب الموظفين أو لمشاريع البنية التحتية وتحسين ظروف الفلسطينيين، وإنما ستجد طريقها لمخازن السلاح وتصنيع المتفجرات التي تملكها حماس، مما منع الكثير من الدول الغربية من دفع مستحقاتها، وتلكؤ الأطراف العربية عن الإيفاء بوعود قطعتها في قمم عربية حتى في ظل رؤيتها للفلسطينيين يتضورون جوعاً ولازال الفلسطينيون، لاسيما شعب غزة يتذوقون مرارة الحصار في أقصى وأقسى درجاته منذ يونيو 2007.

- استخدمت إسرائيل سيطرتها على المعابر التجارية من وإلى الضفة

الغربية وقطاع غزة للضغط على الفلسطينيين لإعاقة وصول البضائع والسلع الأساسية والأدوية، وشلل حركة البناء وشيوع الركود الاقتصادي، بمعنى أنها حاصرتهم غذائياً، فضلاً عن الحصار المالي، مما أوقع حكومة حماس في حرج أمام جماهيرها يتعلق بتوفير لقمة العيش!

- رغم مواصلة الاغتيالات لقادة حماس بعد الانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة إلا أن هذه الاغتيالات لم تحدث أي فتنة أو تمزيق لحركة حماس كما يعتقد الإسرائيليون ولم يحدث أي انشقاق داخل الحركة.

- توقعت إسرائيل من ضرب حركة حماس سحقها والقضاء عليها ولكن لم يتحقق ذلك لأن وجود الحركة في الداخل الفلسطيني هو من وجود الشعب الفلسطيني فهي حركة ذات طابع ديني وتاريخي ، علاوة علي ذلك الشعبية التي تمتلكها الحركة في الداخل الفلسطيني ، بالإضافة إلي تمتعها بالخبرة العسكرية متواصلة رغم الاغتيالات العسكرية لقادتها

- إن حركة حماس لها مخزون من القيادات، فهي حركة مؤسسية شورية ، وليست مرهونة بأشخاص سواء علي صعيد العلاقات الداخلية أو علي صعيد المقاومة والعلاقات الخارجية 0

-لا يوجد حركة تحرر وطني انتكست أو انهارت مع موت قادتها وذلك يتضح من اطلاعنا علي حركات التحرر الوطني الموجودة فإن هذه الحركات باستطاعتها أن تفرز أجيالاً جديدةً، وهذا يبدو واضحاً في ظهور شخصيات جديدة لم تظهر من قبل.

وبالتالي يمكن القول أن اغتيال لقادة الحركة لم يتوقف حتى بعد أن فازت حركة حماس في انتخابات 2006م، بل على العكس تزايدت هذه العمليات ، لم يتوقف الاغتيال، بل بدأت إسرائيل اعتقال النواب والوزراء زد علي ذلك الحرب الإسرائيلية علي غزة في 28 ديسمبر 2008م التي كان هدفها تدمير البنية التحتية للحركة ومنع إطلاق صواريخ المقاومة علي إسرائيل وبالرغم من شراسة الحرب وهمجيتها فإن إسرائيل لم تستطع تحقيق كل ما كانت تصبو إليه وبقيت حركة حماس،وكان للسلطة الفلسطينية موقفها من هذا النشاط الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني ،حيث قامت بالضغط على إسرائيل لوقف هذه الاغتيالات بعمل هدنة والرجوع إلى طاولة المفاوضات أملاً في إقامة الدولة الفلسطينية وحفاظاً على دماء الشعب الفلسطيني.